

الاعترافات السياسية.. المفهوم والآليات. قراءة في مجازر 8 ماي 45 بالجزائر

د. قاسمي يوسف
جامعة قلمة

Abstract:

The cognitive activity in reality is to add or shed the human mind and contemplative tools, through the use of mental Principles and elements of logical thinking, as well as micro-traded between specialists and researchers methodology mechanisms. And drop it on the phenomena and physical and biological data, and humanity in a broad range of life.

In order to first identify and then employment to control these possibilities in helping to achieve beneficial and maintaining the balance between human life and the universe.

Keywords:

Historical consciousness – Cognitive activity – Algerian historians – Sciences– Communauté humaine.

– بين التاريخ.. والسوعي التاريخي:

إن النشاط المعرفي في حقيقته هو إضافة أو تسليط للعقل البشري وأدواته التأملية، عبر استعمال المبادئ العقلية وعناصر التفكير المنطقية، وكذا الآليات المنهجية الدقيقة المتداولة بين المختصين والباحثين. وإسقاطها على الظواهر والمعطيات المادية والحيوية، والإنسانية في المدى الحياتي

الواسع. بهدف التعرف أولاً ثم التحكم والتوظيف لهذه الإمكانيات فيما يساعد على تحقيق النفع وحفظ التوازن بين الإنسان والحياة والكون. وإذا كانت فلسفة العلم تعني فيما تعنيه: "تفحص وتحليل المعطيات والأهداف التي يسعى إلى تحقيقها، وطبيعة ارتباطها بأنشطة الإنسان الحضري" فإنه تبدو لنا حاجة هذه الفلسفة إلى البحث العلمي، مناهجه، وأدواته أكثر من ضرورة؛ لارتباطها بنشاط الأفراد والجماعة البشرية، وطبيعة مهمتهما ونظرتهم للحياة وآفاقها الرحبة.

إن العقل البشري والحواس (سمع، بصر، وغيرها..) جميعها مسئولة لا تنفرد إحداها عن الأخريات؛ في تحمل تبعة البحث والتمحيص والاستقراء والنقد... وبما أن الحركة التاريخية في أبعادها الذاتية والموضوعية، تتميز بالتداخل والتشابك وتبادل التأثير والانفعال؛ فإن حاجتها إلى الحس النقدي تسبق الحاجة إلى المتابعين والنقاد والمقومين. لأن "العملية النقدية" تمثل مكوناً أساسياً للعملية التاريخية نفسها. باعتبارها تتضمن قدراً كبيراً من الإنجاز البنائي في جانب من جوانب الفكر والتاريخ معاً، كما تعمل على إعادة صياغتهما وبنائهما وفق منظور جديد ومتجدد، في إطار الصيرورة التاريخية العامة ودلالاتها الواقعية الموضوعية، وآفاقها المستقبلية.

إن عملاً من هذا النوع وبهذا الحجم والأهمية - خاصة إذا توجه صوب التاريخ- يحمل في حقيقته وواقعه طبيعة تكاملية لا يمكن السيطرة عليه؛ إلا من خلال حشد من الباحثين المتخصصين الذين يملكون ناصية المعرفة العلمية الدقيقة، فضلاً عن الوعي العميق والرؤية الواضحة، وكذا الخلفية الثقافية الشاملة، والروح العلمية، والصرامة المنهجية.

وتشكل القراءة التاريخية المدخل الموضوعي لوعي الذات وتأكيد الوجود، بل الحضور الدائم في حركة الحياة وزخمها. وبالتالي إدراك أهمية

التاريخ " كقيمة" إنسانية فعالة لتحسين الذاكرة الفردية والجماعية من التلف، وبإبقاء الأضرار التي قد تعطب وظيفة الاستدكار الإنساني للشواهد والرموز التاريخية؛ كعناوين ومراجع يستوجب حضورها في مسيرتنا الآنية والمستقبلية. ومن الناحية الفكرية فإن قراءة التاريخ والوقوف عند محطاته الكبرى - على الأقل- يجسد ويعكس "الوعي التاريخي" كقيمة وحس وموقف؛ باعتبار الأخير يعني فيما يعنيه: (إدراك لهذه الحقائق التاريخية ضمن سياقات ثنائية متكاملة؛ تجمع الذات مع الموضوع، المحلي مع العالمي، الآني مع المستقبلي... ضمن رؤية كلية جامعة واستشرافية). وعليه فإن ربط حركية الإنسان اليومية واللاحقة بتفاعلات القوانين التاريخية الموضوعية، وسنن التغيير الاجتماعي؛ يمكننا بلا شك من استشعار دور الإنسان كفاعل يملك الإرادة والقدرة على تغيير واقعه نحو الأفضل، ومن ثم التحرر من منطق "العدمية والسكون" في الحركة، كما "الانهزامية" في القرارات والمواقف.

ضمن سياق ومناحي هذه الرؤية للتاريخ وحوادثه؛ أجدني مجبرا على تجاوز التاريخ "كوظيفة سردية" مستهلكة، إلى قراءته كجوهر ومعنى ودلالة، يكون لمنطق ومنهج التأمل حضوره. لأجل إبراز علة الظواهر وتحليلها سيكولوجيا، اجتماعيا ومعرفيا. كما أكد ذلك العلامة ابن خلدون (ت808 هـ- 1406) في مقدمته. إذ يقول: (التاريخ خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال..)(1)

كما استقر واتفق فلاسفة التاريخ والحضارة جميعهم من عهد أرسطو مروراً بابن خلدون، وكارل ماركس، شبنغلر وابن نبي، وانتهاء بتوينبي وغيرهم على أن: " فقه السنن الكونية ووعي قوانين التبدل والتغيير في الحياة، مرهون بالقراءة التأملية لأحداث التاريخ ومساراته." وها هو "ونستون

تشرشل" - السياسي البريطاني الحكيم- يقول: (إذا أردت أن تعرف إلى أين أنت ذاهب، فيجب أن تعرف من أين جئت).

فالتاريخ إذا صناعة إنسانية بامتياز تتفاعل في إنتاجه سياقات الموضوع، المكان والزمان، متخطية النظرة الماضوية الجامدة إلى ملامسة الحاضر، والذهاب بعيدا في التنبؤ بالمستقبل؛ طبعاً ضمن إطار منظومة قوانين موضوعية وقيمة تمتزج: بنية، صناعة وأثر. أو كما يرى قسطنطين رزيق بأن: " الإنسان الحي الفاعل صانع التاريخ، ليس مستقبلياً، مطلقاً، سائحاً في الرؤى والأحلام، ولا حاضراً مطلقاً غارقاً فيما حوله من مشكلات، ولا تاريخياً مطلقاً يحن إلى الماضي، ويبغي أن يرجعه كما كان. وإنما يعيش في توفيق دائم بين الحاضر والماضي والمـ «مستقبل، تتفاعل قواها وعناصرها في ذاته، بإدراك مؤن صحيح، وشعور دقيق نافذ، فيكون من أثر هذا التفاعل العملي تاريخياً مبدعاً". (2)

فالموضوع التاريخي يقع التعاطي معه من زواياه المتعددة، وخلفياته الأيديولوجية المحركة؛ تتحكم فيه آليات مكونة ما يمكن أن نطلق عليه "الدورة الحلزونية". تلك المتمثلة في طرح ومقاربة الأسئلة الثلاثة التي يجب استحضارها - لدى الباحث التاريخي- في تدوينه التاريخي؛ وهي: ماذا حدث ؟ لماذا حدث ؟ وكيف حدث ؟

فما حقيقة مجازر 08 ماي 45 وسياقها التاريخي، ومآلاتها ؟. موقع الاعترافات السياسية الفرنسية بين المبدئية الأخلاقية -التاريخية، والظرفية السياسية ؟

2- حقيقة مجازر 08 ماي 45.. سياقها التاريخي، ومآلاتها

لقد انبرى المعمرون ومنهم رئيس اتحادية شيوخ البلديات "أوبو" يذيعون ويروجون لحدوث اضطرابات و شغب في الجزائر ستكون سببا في التراجع عن الإصلاحات و إلغاء مرسوم 07 مارس 1944 م. و بدا بوضوح أنه

وفي الوقت الذي كانت فيه " حركة أحباب البيان والحرية*" تتبلور وتأخذ طريقها نحو جمع الشمل وتوحيد الموقف اتجاه القضية الوطنية، كانت الجبهة الكولونيالية تترصد وتتآمر وتتواطأ (إدارة ومستوطنين) لخنق " الصوت الوطني"، واغتيال حلم الجماهير المتطلعة لفجر جديد يكون فيه استقلال البلاد الهدف الأسمى. ففي الفاتح من ماي 1945 المصادف لليوم العالمي للعمال، اغتنم زعماء الحركة الوطنية المناسبة لينظموا مظاهرات سلمية تحتفل بعيد الشغل من جهة، وتندد بالقمع الاستعماري من جهة ثانية. كما تؤكد للعالم مشروعية المطالبة بحق تقرير مصير الشعب الجزائري وإبطال مقولة " الجزائر فرنسية". وكان وراء هذه المظاهرات نشطاء " حزب الشعب"؛ حيث رفعت فيها شعارات: "استقلال الجزائر"، "تحرير أمصالي"، "نهاية الاستعمار" وما إلى ذلك... شارك فيها مئات المتظاهرين في مختلف مدن الوطن الجزائري، لكن سلطات الاحتلال حاولت استفزاز المتظاهرين، وجرحهم إلى الصدام و المواجهة. وقد عمدت سلطات الاحتلال الفرنسي في الجزائر العاصمة، بجاية، وهران إلى إطلاق النار على المتظاهرين، وقتلت مناضلين اثنين في العاصمة، كما أصابت العديد من الجرحى، ثم اعتقلت الكثير من المناضلين (3) كانت هذه الأحداث بداية الشرارة الأولى التي سبقت المواجهات والمجازر التي حدثت يوم الثامن ماي 1945 م؛ في سطيف وقلمة وخرطلة.. ومدن كثيرة في الشرق الجزائري. بذلك يظهر أن الموقف الفرنسي من حركة "أحباب البيان و الحرية" وتربصها بها، وتبييت نية الغدر بها، كان وراء تلك المجازر الرهيبة، والفاجعة العظمى التي لحقت بالشعب الجزائري في ذلك اليوم الأسود.

أ- ملابسات وقوع المجازر

إن الوضع الوطني العام في الجزائر عشية ارتكاب الفرنسيين لمجازر 08 ماي 1945م، كان مشمولاً بالوعي الوطني المتنامي، وانتظار ساعة الخلاص من جانب الجزائريين و تربص واستعلاء من جانب الفرنسيين، وبدل أن يفهم الفرنسيون الواقع الجديد للحركة الوطنية وتطوره؛ راحوا يتحرشون بها

وبرجالها: (وكانت حكومة "كاترو"، بعدها حكومة "شاطينو" تريد وقف العاصفة -حسب تعبير كاترو- و لكن الموقف مع الأنجلو-أمريكان منعها من ذلك مؤقتا و جعلها تؤجل الحسم إلى ما بعد الانتصار.) (4) كما ادعى الفرنسيون أنهم اكتشفوا: (مشروع ثورة ضد فرنسا، وقد كانوا كعادتهم يبحثون عن أي سبب يبررون به جرائمهم الوحشية ضد الشعب الجزائري فوجدوها في هذه المظاهرات السلمية.) (5) ويؤكد د. سعد الله إلى القول بأن بعض الكتاب ومنهم "عباس فرحات" يذهب: (إلى أن عباس وأمصالي والإبراهيمي قد اجتمعوا سرا في قصر الشلالة في نهاية شهر أفريل واتفقوا على برنامج محدود و سلمي، و هو مهاجمة الإدارة الفرنسية والاستعمار، كما يرى آخرون أن الزعماء الثلاثة قد اتفقوا على القيام بمظاهرة عامة يوم احتفال الحلفاء بالانتصار. و كان الهدف من هذه المظاهرة هو الضغط على الفرنسيين بإظهار قوة الحركة الوطنية، ووعي الشعب الجزائري بمطالبه.) (6) مهما يكن الأمر فإن كل المؤرخين والكتاب يتفقون على أن الجزائريين بقيادة " حركة أحباب البيان والحرية " قد قرروا الاحتفال بيوم الانتصار ونهاية الحرب العالمية الثانية (08 ماي 1945م) والتعبير عن مشاعرهم الوطنية، و طموحهم في تقرير المصير، ومشاركة بقية شعوب العالم فرحة هذا اليوم، كما أن جلهم اتفق كذلك على أن السلطات الفرنسية هي التي أذنت للجزائريين بتنظيم المظاهرات بهذه المناسبة، و قد حدث هذا بمختلف مدن الجزائر وليس خاصا بسطيف وحدها. (7)

بدأت المظاهرات و المواجهات بسطيف يوم الثلاثاء 08 ماي 1945، حيث كان يوم السوق الأسبوعي حيث يتوافد على المدينة الآلاف من الفلاحين وسكان البوادي و القرى، لاقتناء حاجياتهم و ضرورات حياتهم. وفي نفس اليوم نظمت مظاهرة سلمية رفعت فيها الراية الوطنية و سارت في حي المحطة

قرب المسجد الجديد متوجهة إلى المدينة محفوفة بالشرطة، وسارت حوالي ألف متر، وفجأة وأمام "مقهى فرنسا الكبير" برز محافظ الشرطة، وحاول نزع الراية الوطنية من الطفل "بوزيد شعال" لكن الطفل رفض تسليمها، فأطلقت الشرطة الرصاص وأردته قتيلا. و جرح العديد من المتظاهرين، وهكذا اضطرت نار الفتنة و اندلع لهيبها واشتبك المتظاهرون مع رجال الشرطة المعززون بالجند الفرنسي وأطلقوا الرصاص... وسقط الضحايا.

يروى "عباس" هذا المشهد قائلا: (...استشهد عدد عديد من إخواننا و جرح الكثيرون منهم وسارت بالحوادث الركبان، وأصبحت موضوع أقوال وأحاديث و مذكرات وأساطير، فاستطارت هذه الحوادث كالوباء المنتشر واجتاحت أرياف عمالة قسنطينة و قراها... أسفرت عن قتل 102 من الفرنسيين ، و عن تقتيل عشرات الآلاف من إخواننا، فتكالب جيوش الليف الأجنبي، و السنغاليون والطابور المغربي تحت قيادة الجنرال "دوفال " والكولونيل "بورديا" على قرانا و دواويرنا... وأطلق المعمرون العنان لهمجيتهم ووحشيتهم و ضراوتهم، فلم يروا مسلما إلا قتلوه ن وجريحا إلا أجهزوا عليه، وهزتهم من جديد الحماية الاستعمارية... وكل هذا باسم المدنية و الحضارة.(8) روجت الولاية العامة لمنشور ينضح حقدا وكراهية، ويلهب حماس المستوطنين محرضا إياهم على قتل الجزائريين وإعدام قادتهم الوطنيين، مما جاء فيه: (كفانا إن الرأي العام الفرنسي يطالب بإعدام القادة الوطنيين و في طليعتهم فرحات عباس ألقى القبض على عباس فرحات في مقر الولاية العامة بالجزائر مع الدكتور سعدان يوم 08 ماي 1945 و صدر قرار يوم 10 ماي بحل حركة " أحباب البيان والحرية "، وأعلنت الأحكام العرفية، ووجهت اتهامات للقادة الوطنيين - على رأسهم عباس- بالمس بالسيادة الفرنسية الداخلية والخارجية وسجنوا

(عباس، أمصالي، إبراهيمي)، ولم يطلق سراحهم إلا بعد صدور قرار العفو يوم 16 مارس 1946 م.

تلك بإيجاز وصف الحوادث و المجازر التي ارتكبتها إدارة الاحتلال وأعوانها في حق الجزائريين العزل، ذهب ضحيتها حسب الروايات الجزائرية أزيد من 45000 قتيل و شهيد. فكيف كان وقع و تأثير هذه الحوادث في مسار الحركة الوطنية ؟ إن صدى هذه المجازر ووقعها على الشعب الجزائري كان شديدا، كما أن تأثيراتها على مجرى الحركة الوطنية بدا بارزا للعيان؛ حيث كما عبر عنها الأستاذ بلغيث: (أن مجازر 08 ماي 1945 التي تركزت أساسا في مناطق قائمة و سطيف و خراطة لم تنه روح المقاومة لدى الشعب الجزائري، بل كانت بداية مرحلة جديدة، أعيد خلالها النظر في الإستراتيجية و في وسائل العمل و الكف المقبلة).⁽⁹⁾ و يؤكد الدكتور سعد الله بأن الحوادث و إن انتهت بعد أيام قليلة لكن عواقبها لم تنته حتى على عواقب السنين، وحتى وإن قضى الفرنسيون على الحركة الوطنية الصاعدة من خلال التخلص من حركة "أحباب البيان و الحرية" إلا أنهم بفعلتهم تلك قد: (حفروا هوة سحيقة بين الجزائري وفرنسا).⁽¹⁰⁾ كما أكد الأستاذ الشاذلي المكي في شهادته حول المجازر - وهو واحد من الوجوه والعناصر النشطة في حزب الشعب المنضوين آنذاك تحت "حركة أحباب البيان"، و أحد صناع مظاهرات 08 ماي 1945 إعدادا و تأطيرا- فيقول: (إن أحداث ماي وضحت الطريقة للجميع).⁽¹¹⁾ من جهته يعتبر الأستاذ " سليمان الشيخ " بأن حوادث 08 ماي 1945 الدموية قد وضعت (نهاية لتجربة أصدقاء البيان والحرية، ولكن النار تظل مشتعلة تحت طبقة الرماد التي تركها تدفق العنف القمعي، وكانت أيام الغضب هذه قد نقشت إلى الأبد الذاكرة الجماعية لشعب استبقى في العبودية جرح كبرياؤه جرحا بليغا).⁽¹²⁾

هكذا كان يوم 08 ماي 1945 المأساة والحزن، بمثابة نقطة تحول إيجابية في مسار الحركة الوطنية: (وجاءت لتؤكد لمرة أخرى بأنه لا أمل يرجى في ظل النضال في ظل الشرعية الاستعمارية. ذلك أن الوجود الاستعماري نفسه هو نفي للوجود الوطني للجزائر...وعليه بنت (الحركة الوطنية) رؤاها و ضبطت خط سيرها النضالي في المرحلة التالية). (13) إنه الخط الثوري والتوجه نحو الإعداد للكفاح المسلح، هذا ما سيتكفل به حزب الشعب - حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، بعد ذلك من خلال تأسيس المنظمة السرية مطلع سنة 1947م المهيئة أساسا لهذا الغرض.

ينبغي الوعي باختلاف استخدام مصطلح "الشرعية" بين الفلسفة السياسية والعلوم السياسية، فالفلاسفة السياسيون عادة ما ينظرون إلى الشرعية كمبدأ أخلاقي أو عقلائي يشكل القاعدة التي يمكن للحكومة الاعتماد عليها في مطالبة المواطنين بالطاعة في حد ذاتها. وفي المقابل، يتعامل علماء السياسة مع مفهوم الشرعية من منطلق علم الاجتماع كتعبير عن إرادة الامتثال لنظام الحكم بغض النظر عن كيفية تحقق ذلك. وينظر هذا الموقف إلى الشرعية بمعنى "الاعتقاد في الشرعية": أي الاعتقاد في "الحق في الحكم"، وذلك كاستمرار للتصور الذي طرحه ماكس فيبر (1864-1920)م.

3- في مفهوم الشرعية ودلالاتها:

ترتبط قضية الشرعية بواحد من أقدم الجدالات السياسية وأكثرها أهمية وهو الجدل حول مشكلة "الالتزام السياسي"، ففي ثنايا تحليلهم لمدى وجوب احترام الدولة وطاعة قوانينها على المواطنين، طرح منظرو العقد الاجتماعي مثل هوبز (1588-1679)م، و لوك (1632-1704)م ممارسة الحكومة للسلطة الشرعية في المجتمع. ويلاحظ أن الدلالات السياسية الحديثة لا تركز على مسألة لماذا ينبغي على الناس أن يطيعوا الدولة على نحو مجرد، بل على

قضية سبب طاعتهم لدولة معينة أو نظام معين للحكم. وكان ماكس فيبر قد قدم الإسهام الأساسي في فهم الشرعية كظاهرة اجتماعية حيث حدد ثلاثة أنواع من الشرعية. السياسية هي: السلطة التقليدية (القائمة على التاريخ والعادات) والسلطة الكاريزمية (القائمة على قوة الشخصية، والسلطة الرئيسية القانونية (المستندة إلى إطار من القواعد الرسمية القانونية). ووفقا لفيبر، فإن المجتمعات الحديثة تتجه بشكل متزايد إلى ممارسة السلطة الرشيدة القانونية، وتبنى الشرعية النابعة من احترام القواعد الرسمية القانونية.

وثمة اقتراب بديل للتعامل مع مفهوم الشرعية طوره منظرو الماركسية

المحدثة

التي توظفها المجتمعات الرأسمالية لتقييد الصراعات الطبقية وكبح جماحها عبر تصنيع الرضا العام واختلافه من خلال التوسع في الديمقراطية والإصلاح الاجتماعي. ومن ثم تصبح الشرعية مرتبطة بمواصلة الهيمنة الأيديولوجية وفي هذا الإطار طرح مفكرو الماركسية المحدثة مثل "هابرماس" مفهوم "أزمات إضفاء الشرعية أو أزمات الشرعية Legitimation Crises" في المجتمعات الرأسمالية ؛ حيث يضحى من الصعب الحفاظ على الاستقرار السياسي بالاعتماد على الرضا وحده. ويكمن المصدر الأساسي لهذه " النزعات التآزمية" في التناقض المزعوم بين منطق التراكم الرأسمالي من جهة والضغط الشعبية التي تطلقها السياسات الديمقراطية من جهة أخرى. الضغط السياسي أو اللوبي كلمة إنجليزية تعني الرواق أو الردهة الأمامية في فندق، تستخدم هذه الكلمة في السياسة على الجماعات أو المنظمات التي يحاول أعضائها التأثير على صناعة القرار في هيئة أو جهة معينة، وفي الولايات المتحدة يوجد أكثر من لوبي ومن أشهرهم اللوبي اليهودي الذي يمارس

الضغوط على مجلس الشيوخ النواب الأمريكيين لتأييد إسرائيل اللوبي عبارة عن حث لجهات قريبة من اتخاذ القرار تمارسه مجموعات أو أطراف للحصول على مارب وأهداف تخدم مصالحها السياسية بالدرجة الأولى ومصالح أخرى تتفرع من السياسة قد تكون اقتصادية أو اجتماعية أو قانونية.

هذه المجموعات منظمة ولها أهداف ومصالح بعيدة المدى هدفها الوصول إليها عن طريق ممارسة ضغط كبير منظم و ممنهج قصير المدى على صناع القرار، قد تكون هذه المجموعات من أصحاب الأموال تستخدم أموالها للتأثير على السياسة العامة ضمن ما يخدم مصالحها أو من أجل تأسيس قوى ومجموعات أخرى ذات قدرة على الحث والتأثير. وبشكل الصحافة والإعلام دورا مهما جدا في عملية اللوبي أو الحث من أجل تشكيل أكبر ضغط ممكن من قبل المواطنين العاديين أثناء العمليات الانتخابية أو لتجديد الرأي العام في مناسبات أخرى. ويظهر اللوبي على شكل جماعة غير رسمية ولكن تتفق أهدافها ومصالحها لتحقيق ضغط على صناع القرار أو الرأي العام.

الاستعمالات السياسية :

يورد بعض الباحثين أن الاستعمالات السياسية "للاعتراف" تعتمد

على ثلاث حالات:

*الأولى الاعتراف المبكر بنظام جديد.

*الثانية عدم الاعتراف المطول بنظام جديد وفاعل.

*الثالثة الاعتراف المطول بنظام بئد.

ويعتبر الكاتب "بيترسون" أن الدول ستختار اعتماد أحد هذه الحالات وفقا لثلاثة أسباب: في المستوى الأول، يستعمل الاعتراف للتعبير عن الموافقة أو الرضا تجاه نظام. ووفق الكاتب "آلن بوشانن" يمكن استعمال فعل

الاعتراف للتأثير على سياسات الأنظمة أو بصفة أهم التأثير على بقائها. فالاعتراف يقوي الكيانات السياسية التي تفتقد للحقوق القانونية والواجبات، وهو ما يجعل منه فعلا دستوريا وقانونيا قبل أن يحمل مضمون الالتزام السياسي.

كما يعتبر "بوشانان" أن الحكومات الطموحة تستحق الاعتراف أكثر مما تستحقه سياساتهم المحلية المثيرة للجدل. بذلك فإن منح الاعتراف من عدمه على أساس المعايير الأخلاقية يمكن أن يكون سياسة فاعلة في تحفيز السلوك الصحيح بين الأنظمة المختلفة وعلى أرض الواقع، فهناك تفاوت كبير بين الأهداف التي تعلنها الدول عندما تحصل على الاعتراف السياسي من قبل الحكومات الأجنبية، وبين ما تحققه فيما بعد، وثبت أن رفض الاعتراف هو وسيلة غير فعالة للتهديد بزوال نظام ما. وللاعتراف عواقب سياسية وتأسيسية ينبغي أن تضع في الاعتبار الإستراتيجية العامة للدولة، وتبعا لذلك رفضت الإدارات الأمريكية المتعاقبة الاعتراف ببعض الأنظمة الاشتراكية على أساس أن القيام بذلك سيكون ضد مصلحتها الوطنية.

الاعتراف كـ "فعل اجتماعي"

ويذكر الباحث مثال دولة الكويت التي احتلها صدام حسين سابقا وأصبحت غير موجودة بالمعنى الفعلي للكلمة، ولكن هذا لم يمنع المجتمع الدولي من التشديد على اعترافه بها واستعادت في نهاية المطاف سيادتها من خلال استخدام القوة. ونتساءل كباحثين عما إذا كان الاعتراف أو عدم الاعتراف أداة من أدوات التحكم ويتوقف أثره القانوني على القيام بأفعال دبلوماسية ملموسة ؟ فالاعتراف كعمل اجتماعي له أثر ملموس ليس فقط على الحقوق والواجبات الدولية، ولكن أيضا على الشرعية وبذلك فإن له أثر عميق. وفي حين أن الاعتراف القانوني يستهدف الأنظمة القائمة فإن الاعتراف

الاجتماعي يستهدف المدنيين عن طريق المطالبات الخارجية بإعطاء الكيان السياسي الحق المشروع في الحكم.

فمسألة الاعتراف ضرورية لممارسة الحقوق القانونية والواجبات وإرساء أسس الدولة الراشدة، ويقول المؤيدون لهذه النظرية إنه ليس هناك أي قواعد لتطبيق هذا المفهوم. فيمكن للدول أن تقوم باعتراف ما في سرية. وفي معظم الأحيان فإن فعل الاعتراف يمنح على أساس المصالح والمثل السياسية ويكون عادة في قطيعة مع الواقع القانوني. علاقة الاعتراف بمفهوم الكرامة والاحترام:

أ- في مفهوم الكرامة:

جاء في "لسان العرب" أن "الكرم" نقيض اللؤم، ويعني العتق والأصل والصفح والفضل والعظمة والشرف. و الكريم اسم جامع لكل ما يحمد، وصفة من صفات الله وأسمائه؛ وهو الكثير الخير الجواد المعطى الذي لا ينفذ عطاؤه وهو الكريم المطلق، أما الكريم النسبي فهو الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل. والاسم منه "كرامة" والرجل له مكارم وينبغي تكريمه وإكرامه ويقال: "له علي كرامة أي عزازة واستكرم الشيء؛ طلبه كريما أو وجده كذلك". ونجد في القرآن الحكيم: "ألقي الي كتاب كريم" وأيضا "وقل لهما قولا كريما"، ونجد كذلك: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم". كما جاء في الحديث الشريف: "واتق كرائم أموالهم.. " والكريم هو الذي يجتمع فيه العدل والعفة والجمال والحكمة والرئاسة والأدب والظرافة.

أما لفظ الكرامة في اللاتينية هو dignitas وفي الفرنسية هو dignité ويشترك منه الحد dignitaire ويفيد ثلاثة معاني:

معنى اجتماعي: المنزل التي يحتلها الفرد في التراتبية الاجتماعية والمحمولات والمحاسن المنجزة عن هذه الرتبة.

معنى أخلاقي: القيمة الممنوحة الى الشخص الإنساني في حد ذاته بمعزل عن طباعه الفيزيائية وموقعه الاجتماعي. وقد أشار "عمونيال كانط" الى ضرورة معاملة الشخص كغاية وليس كوسيلة؛ فالكرامة تمنح الإنسان قيمة تخص الغاية المطلقة وتختلف عن الغايات النسبية التي تمتلك ثمنًا .

معنى نفسي: الوعي الذي يستمدّه الفرد من قيمته الخاصة لكونه شخصًا إنسانيًا. إن الشعور بالكرامة بكل ما فيه من تبطن و فردنة للقيمة يتعارض مع الإحساس بالمجد الذي يرجع الى المرتبة والدرجة. وإذا كان المجد هو قيمة ترتيبية فإن الكرامة هي قيمة مساواة و تتماهى مع الصورة التي يحملها المرء لنفسه. عندئذ تأخذ الحماسة بالبعض الى درجة التضحية بالنفس من أجل إنقاذ كرامته من كل إهانة. فمبدأ الكرامة الانسانية عند كانط يقتضي أن نعامل الإنسان على أنه غاية لذاته لا على أنه وسيلة لغيره. لكن ألا يقتضي مبدأ الكرامة البشرية الاستنجااد بمبدأ الاحترام الأخلاقي ؟

ب- مفهوم الاحترام:

لقد جاء في معجم المصطلحات الفلسفية ما يلي: "الاحترام" هو "شعور بالتقدير والمهابة ينتاب الإنسان أمام الأشخاص أو الأشياء التي تمثل قيما أخلاقية أو معنوية. وهذا الشعور يفترض الحرمة في معظم الأحيان وعدم المساس بموضوع الاحترام."

إن لفظ الاحترام تجاوره عدة ألفاظ أخرى مثل: المنزلة والوقار، والهيبة، والاعتراف. وبالعودة الى عالم الموسيقى يبعث الى الحياة "المعنى الاجتماعي" للاحترام، وخاصة التوازن والانسجام والتقيد بالمطلوب وأداء الوظيفة المحددة.. والأخذ بعين الاعتبار حاجيات الآخرين والعمل على تحقيقها على قدر الإمكان؛ بعد تشخيص معمق ودراية تامة بالظروف المتعددة المجالات والمعايشة الوجدانية لهم .

إن الاحترام الذاتي يمر عبر الالتزام بجملة من الوسائط الاتصالية من نوع: القوانين والطقوس الاجتماعية، ووسائل الإعلام، والمعتقدات الدينية والتقاليد الثقافية، والمذاهب السياسية ومؤسسات المجتمع المدني والدولة. على هذا النحو فإن "تقدير الذات ذاتها لا يختزل في مجرد علاقة للذات بذاتها، فهذا الشعور يتضمن فضلاً عن ذلك طلباً موحهاً إلى الآخرين؛ أنه يتضمن الأمل بموافقة متأتية من الآخرين. بهذا المعنى يكون تقدير الذات ذاتها ظاهرة انعكاسية وظاهرة علائقية في نفس الآن، ويجمع مفهوم الكرامة والاحترام وجهي هذا الاعتراف."

إن قلة الاحترام التي يعمل بها المرء اليوم هي أمر مهيّن وجارح للمشاعر، وهذه الندرة هي أمر مصطنع وغير مبرر؛ لأن احترام الناس أمر في المتناول ولا يستحق الكثير من الجهد والتفكير، بل وفاء الإنسان لذاته والعودة إلى إنسانيته.

بهذا نخلص إلى نتيجة هامة مفادها: "أن الاعتراف بالغير من حيث هو وعي بضرورة الوجود المشترك؛ هو المعنى القانوني للاحترام." عندئذ أن احترام الآخرين ينبع من احترام الإنسان لنفسه، وذلك لكون الإنسان يتصالح مع إنسانيته ويكون إنساناً من خلال اعتراف بقية الناس الذين يتواصل معهم في الفضاءات المختلفة. والتزامه بالمبادئ الانسانية الأصيلة واحترامه كرامة الإنسان باعتباره قيمة كبرى؛ فضلاً عن تقديسه حقه في الوجود والعمل و الإبداع وإرادة الحياة.

4- مقارنة إشكالية الاعترافات من خلال تصريحات السياسيين:

إن مجازر 8 ماي 1945 في صيرورتها التاريخية تندرج ضمن "تقليد استعماري" قديم، جرى التحضير لها بتخطيط وعناية من جلادي "فرنسا التاريخية" المحترفين؛ في سياق الإبادات الجماعية المرتكبة من قبل الجيش

الفرنسي ومليشياته الاستعمارية. و قد تم تغطيتها من قبل حاكم الجزائر آنذاك "إيف شاتينو"، كما فعل المارشال "بيجو" بشأنه ضباطه عام 1845 م؛ خلال أحداث محرقة الظهرة، و بعدهما الجنرال "ديغول" مع محافظه للشرطة "موريس بابون" خلال مظاهرات 17 أكتوبر 1961م. وتمثل هذه المذابح والإبادة الجماعية -في مجملها- جزءا هاما من الذاكرة التاريخية المؤلمة للجزائريين، كما تعبر عن بعض من حقائق التاريخ التي لا يمكن لأحد القفز عليها أو محوها.

وتأتي تصريحات واعترافات بعض الساسة الرسميين الفرنسيين في السنوات الأخيرة، لا سيما تصريح الرئيس الفرنسي السابق "نيكولا ساركوزي" الذي قال: "أه لا يمكن للأبناء الاعتذار عما فعل الآباء" (14) وسفير فرنسا في الجزائر السيد "هوبر كولن فرديار" في مدينة سطيف بالشرق الجزائري؛ الذي وصف أحداث 8 ماي 1945 بـ "مأساة لا تغتفر"؛ في سياق البدايات الأولى لفتح ملف "الاعترافات السياسية" حول هذه المجازر البشعة -التي سبقتها أخريات لا تقل عنها قساوة وألما-.

أما بشأن مظاهرات 11 أكتوبر 1961 وضحاياها، فقد أعلن الرئيس الفرنسي "فرانسوا هولاند" أن: "الجمهورية تقرر برؤية واضحة بهذه الوقائع بعد 51 عاما على هذه المأساة، موجها تحية إلى روح الضحايا". كما أفاد هولاند بأن بلاده: "تعترف بكل وضوح بالقمع الدموي الذي تعرضت له مظاهرة الجزائريين في باريس في 17 أكتوبر 1961م"، كما جاء في بيان صدر عن قصر الإليزيه: مضمونه يؤكد أن: "الجمهورية تعترف بكل وضوح بتلك الأحداث.. بعد 51 عاما من تلك المأساة أترحم على ذكرى الضحايا". من جهة أخرى - وتساوفا مع التصريحات والاعترافات السابقة- فقد صادق مجلس الشيوخ الفرنسي يوم 2012/10/23 على مقترح لائحة تعترف بقمع

مظاهرات 17 أكتوبر؛ بمجموع 174 عضوا صوتوا بـ"نعم" من جملة 344 من الأصوات المعبر عنها داخل هذه المؤسسة التشريعية. و خلال زيارة الدولة الأخيرة التي قام بها الرئيس "هولا ند" إلى الجزائر يوم 20 ديسمبر 2012؛ جاء في سياق حديثه عن هذا الموضوع التاريخي معترفا في خطابه أمام أعضاء البرلمان الجزائري بالقول: " اعترف هنا بالمعاناة التي تسبب فيها الاستعمار للشعب الجزائري." مؤكدا في ثاني يوم من زيارته للجزائر بأن: "مذابح سطيف وقالة وخراطة (التي) تبقى راسخة في ذاكرة الجزائريين وضمايرهم." مشيرا -في المكان نفسه- إلى أنه: " خلال 132 سنة (1830-1962)م خضعت الجزائر لنظام ظالم ووحشي؛ وهذا النظام يحمل اسما هو الاستعمار."

نعتقد أن هذه الاعترافات بقدر ما تعكس حالة سيكولوجية تنم عن معاناة الضمير التي أضحت تؤرق هؤلاء الساسة والعسكريين؛ بقدر ما تمثل من منظور تاريخي- سياسي خطوة مهمة و"تقدما" في الخطاب السياسي الفرنسي باتجاه: تصحيح الموقف التاريخي حيال الذاكرة الاستعمارية المشتركة، و تصويبا لضرورة العلاقات السياسية، كما هي تحفيز وإنعاش لعلاقات اقتصادية واستراتيجية.. بين بلدين مهمين على ضفتي البحر المتوسط الشمالية والجنوبية؛ تجمع بينهما مشتركات الذاكرة التاريخية، حيوية الجغرافية السياسية، وبرغماتية التبادل والاستثمار الاقتصادي وأفاقهما. من جانب آخر فإن مثل هذه الاعترافات المتتالية تلقي بثقل المسؤولية كاملا على الطرفين في سبيل فتح ملف "الذاكرة المشتركة"، بكل حيثياته ومعطياته، آلامه وآماله؛ حتى يكون ضمن التداول التاريخي - الفكري والسياسي بين الجميع. كما من واجب المؤرخين والسياسيين معا بلورة "نظرة تاريخية جديدة" للذاكرة التاريخية؛ لمواجهة إرث التاريخ الاستعماري المؤلم بشجاعة

ومسؤولية..لأنه من حق جيل الحاضر وأجيال المستقبل في الجزائر وفرنسا معا، الاطلاع على مضامينها كما هي. فضلا عن ضرورات الاستثمار المشترك - بواقعية وبرغماتية- للتأسيس المتين والتحضير الفعال لعلاقات التعاون والسلام المستقبلي بين البلدين؛ حتى لا يتكرر دفع ضريبة "الدم البريء" مجدا بين البلدين.

الإحالات:

- 1- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص 57
- 2- قسطنطين رزيق، نحن والتاريخ، دار الملايين بيروت- لبنان، ص15
- (*) "جبهة أحباب البيان والحرية" تنظيم سياسي تأسس في 14 مارس 1944م، على خلفية إصدار الجنرال "كاترو" قرار 07 ماس 1944 الذي يستنسخ مشروع " بلوم - فيوليت" لعام 1935م. وقد ضمت الجبهة أهم التيارات السياسية الوطنية النشطة على الساحة السياسية الوطنية آنذاك. وهي: حزب الشعب الجزائري بزعامة مصالي الحاج، مجموعة النخبة والنواب بقيادة فرحات عباس، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين برئاسة الشيخ البشير الابراهيمي. ومثلت إطارا لأتلاف القوى الوطنية، ووحدة المطالب السياسية الوطنية للشعب الجزائري.
- 3- محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة نجيب عياد، صالح المثلوثي، ط ؟ موفم للنشر الجزائر 1994، ص37
- 4 - سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3 ، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986، ص228
- 5 - د. بشير خلدوني، أصول الحركة الوطنية وتطورها(مقال)، مجلة الرؤية عدد 1 ، الجزائر ؟ ص 64
- 6- سعد الله، مرجع سابق، ص 229، انظر: بن جامين سطره، أمصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية، ترجمة صادق عماري ومصطفى ماضي، ط ؟ دار القصة الجزائر 1999 ص191- 192

- 7- سعد الله، مرجع سابق، ص 230. وكذلك عباس فرحات، مرجع سابق، ص 186، وأحمد محساس، الحركة الثورية في الجزائر، ترجمة الحاج مسعود ومحمد عباس، ط ؟ دار القصبة للنشر الجزائر 2002، ص 238
- 8- فرحات عباس، ليل الاستعمار، ترجمة أبو بكر رحال، ط ؟ مطبعة فضالة المحمدية المغرب، ص 188- 189
- 9- محمد الأمين بلغيث، تاريخ الجزائر المعاصر، ط1 دار البلاغ الجزائر 2001، ص 162
- 10 - سعد الله، مرجع سابق، ص 252
- 11 - فوزية بوسباك، شهادات حية عن أحداث 08 ماي 1945، مجلة الذاكرة عدد: 02 السنة الثانية، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1995، ص 109
- 12- سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح أوزمن اليقين، تر. محمد حافظ الجمالي، ط ؟ دار القصبة للنش، الجزائر 2003، ص 44
- 13- د. جمال قنان، جذور ثورة نوفمبر 1954، مجلة الذاكرة عدد 5، المتحف الوطني للمجاهد الجزائر 1998، ص 9- 10
- (**) ابن منظور، لسان العرب، أنظر لفظة الكرامة ص
- 14- حميد يس، "الخبر السياسي" محمد القورصو يقول إن فرنسا تشعر بالذنب إزاء الحركي والأقدام السوداء... إدانة ساركوزي للاستعمار حبة حلوى في بطن جائع"، يومية الخبر، الجزائر، العدد: 2950، (الأحد 01 نوفمبر 2009)، ص 2